

رعاية الأولاد أم تربيتهم؟

أنا وأنت على الطريق

هل ترعين أولادك يا سيدتي أم تربيتهن؟ تحت عنوان احضنوا أولادكم كتب أحدهم هذه الكلمات فقال:

ألم يكن يتمنى كل واحد منا أن يحضنه والداه؟ ألم يكن يتمنى أن يحس بحنانهم وعطفهم؟ ألم تكن نتمنى أن نفرغ همونا ومشاكلنا لوالدينا؟

إن لم يكن لا تتقربوا من أولادكم وتحسوا بمشاعرهم؟ هل تتوقعون أين يأتي إليكم أولادكم ليطلبوا الحنان والعطف؟ هل تتوقعون أن يأتي أولادكم ويشكروا لكم مشاكلهم من ذاتهم؟ هل تتوقعون أن يأتي أولادكم ويطلبوا منكم أن تعرفوا من هم أصدقاؤهم؟ هل التلغاز أهم من أولادنا؟ فنقضي أمام التلغاز ساعات ولا تجلس مع أولادنا نصف ساعة لنعرف همومهم ومشاكلهم؟ إن لدى أولادنا صراعا داخليا ونقصا عاطفيا ويشعرون بعدم الاهتمام وعدم التقدير. فماذا سنخسر إن حضنا أولادنا كل يوم؟ لماذا لا نبادر أولادنا بالحب والعاطفة؟ لماذا لا نعبر لهم عن محبتنا ونريهم بالتالي ذلك؟

ويتابع الكاتب ليقول أيضاً في شأن رعاية أولادنا أو تربيتهم : هل تريد يا صديقي الأب أن تجعل أولادك يحسون بالقرب منك؟ هل تريد يا سيدتي الأم أن تجلي أولادك يشكون لك همومهم؟ إن لم يكن لا نبادرهم بالحب والحنان والعطف؟ لماذا لا نقومين يا سيدتي وتحلي لأولادك بعض همومك ومشاكلك حتى يشاركوك بها مما يجعلهم يحسون بالقرب منك؟ حسسوا أولادكم ببعض القيمة، حسسوهم بالمسؤولية وبالاهتمام. لماذا لا نحاول ان نطلب منهم مثلا اقتراحات لفكرة معينة أو نطلب منهم إبداء الرأي؟ نحن نرعى ولا نربي.. نعم هذه رعاية وليست تربية التي نقوم بها يا سيدتي الأم ويا سيدي الأب.. كما يرعى الراعي الإبل .. فالرعاية هي أن نهتم بأكله وشربه ونظافته وصحته. ولكن هل اهتمامنا هو أيضا بمشاعر أولادنا؟ هل نمينا عندهم المسؤولية يا ترى وهل زدنا عندهم تقدير الذات؟ هل خففنا عنهم همومهم وأحزانهم؟ هل زرنا فيهم المبادئ الطيبة الصالحة ؟

ذكرني هذا الكلام للكاتب في الصحيفة العربية في شأن رعاية أولادنا أم تربيتهم بقصة شاب جامعي كان كلما عاد إلى البيت يرى قصاصة من الورق مكتوب عليها تعليمات من والدته أو من والده. فمثلا تقول له الأم: أنا سأتأخر اليوم في العمل . الطعام في البراد . ويقول الأب مثلا: أعتذر الليلة عن لقائي معك يا ابني ، فلدي الكثير من القضايا المستعجلة في العمل وعلي أن أنهئها. وفي أحيان أخرى ، تقرأ القصاصة من الورق كالاتي: حبيبي ابني، أنا عند صاحبتني وسنذهب إلى السوق معا. انتبه لنفسك وسخن الطعام. ضاق الطالب الجامعي ذراعا بقصاصات ورق والديه تلك واتجه إلى أصدقاء له في الحي وضرب صحبتهم . وما هي إلا أشهر حتى وقع في مشكلة عويصة قادته مع أصحابه إلى السجن.

ترى أين نحن من شؤون أولادنا؟ هل نعرف ماذا يجري معهم في كل يوم؟ أم أننا حريصون فقط يا سيدتي على إطعامهم وتأمين احتياجاتهم الزمنية بينما نتناسى احتياجاتهم النفسية والعقلية والروحية؟

هل تعبّرين سيدتي المرأة العربية لابنتك عن حبك لها؟ وهل تظهرين العاطفة لابنك كأن تحتضنيه وترفعين من شأنه وتقوين ثقته بنفسه يوم يمر بصعوبة ما أو يواجه مشكلة ما؟ ثم هل تقدمين لأولادك النصح والإرشاد في شؤونهم؟ هل هناك انفتاح وسهولة التعامل بينك وبين أولادك؟ وهل تسمحين لهم بمشاركتك بما يعتمل في قلوبهم؟ بأفكارهم بأرائهم بقضاياهم؟ إن تنمية الشخصية العاطفية عند الولد مهمة جدا تماما كالاهتمام بطعامه وغذائه ولباسه وحاجاته المادية. فهل نهتم بصحته العاطفية والنفسية والروحية كما نهتم بصحته الجسدية؟

أتعلمين يا سيدتي أن الله خالقنا سبحانه وتعالى يهتم بنا وبكل أمورنا الصغيرة منها والكبيرة؟ يقول الفادي يسوع المسيح والمعروف عند البعض ب عيسى بن مريم هذه الكلمات لحواريه ليطمئنهم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسادكم بما تلبسون؟ أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. انظروا على طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوي يقوتها. أليست أتم بالحري أفضل منها؟ اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم.

كم أنت بالحري أفضل منها.. نعم يا سيدتي، إذا كان الله يعتني بطيور السماء وبزنايق الحقل فكيف بالحري لا يعتني بنا نحن المخلوقين على صورته ومثاله؟ إن الله يا صديقتي لم يخلقنا ويتركنا دون أن يظهر لنا محبته وحنانه وعطفه. بل بين لنا محبته وعطفه علينا بأسمى معنى إذ أرسل لنا يسوع المسيح الفادي نفسه من السماء لكي يموت عنا ويتحمل قصاص خطايانا التي فصلتنا عنه تعالى. حتى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. نعم يا سيدتي يهتم الله بنا جدا، لذا بين لنا محبته حتى ونحن بعد خطاة مات المسيح من أجلنا. فهل نتقن بمحبته العظمى لك أنت شخصيا؟ وهل تخبرين أولادك عن هذه المحبة الفريدة؟ وعندها لا تكونين قد اعتنيت بأولادك وبناتك ورعيتهم من الناحية الجسدية والنفسية فقط بل أيضا من الناحية الروحية والتي هي أهم بكثير. لأنهم عندما يؤمنون بالمخلص يسوع المسيح فلسوف ينجون من عقاب خطاياهم ولسوف يحصلون على الحياة الأبدية في دار النعيم. وهكذا تربحينهم إلى الأبد.
